

الجمعة 18 رمضان 1442 الموافق 30 أبريل 2021

من إعداد الإمام : نجيم أوحادوش

فضل العشر الآواخر من رمضان

الحمد لله الذي جعل رمضان موسما لفعل القربات والصلحات، ونيل الدرجات والحسنات، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، جعل ختام رمضان ميدانا لجليل الطاعات وجميل القربات، وبابا لإستدراك الفائتات، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير من جَد وقام، وأزكى من صلى وصام، صلوات ربي وسلامه عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه الطيبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوى الله تعالى وطاعته، واغتنام شهر التقوى بتحصيل أعلى درجاتها، ونيل أسمى مراتبها فإنها خير زاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (البقرة: 197)

معاشر المؤمنين والمؤمنات:

هاهي العشر الآواخر من رمضان قد أقبلت علينا إيذانا بختام شهر رمضان المبارك، تستحث همم المتقين، وتشد من عزم العابدين للإقتداء بهدي سيد المرسلين ليكونوا في سجل المقبولين، كما تعظ المفرطين على استدراك تقصيرهم لعلهم ينجون في ختام الشهر أن يكونوا في عداد المحرومين، فهذه العشر عباد الله قد خصها ربنا جل وعلا بفضائل جمّة وخصائص مشهودة، وهذا من كرم الله تعالى وعظيم جوده وإحسانه، ليزداد المحسنون ويستدرك المقصرون.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الْآوَاخِرِ مِنْهُ مَا لَا يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ» (رواه مسلم)

وعنها قالت: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ» (متفق عليه).
وشد المئزر: كناية عن الإجتهد في العبادة، يُقال للمجتهد في أمر: شمر عن ساقيه، كما يكنى به عن اعتزال النساء.
والمراد بقولها: أحيا ليله، أي أحياه كله بالقيام والتعبد والطاعة، وقد كان قبل ذلك يقوم بعضه وينام بعضه، كما أمره الله في سورة المزمل.

وتأملوا كيف عبرت عائشة رضي الله عنها عن القيام بالإحياء، دلالة على أن الأوقات التي لا تغتنم في طاعة الله تعالى أوقات ميتة.

ومعنى أيقظ أهله: أي زوجته أمهات المؤمنين، ليشاركنه في اغتنام الخير والذكر والعبادة في هذه الأوقات المباركة، وبهذا يعلمنا عليه الصلاة والسلام أن يتعهد المسلم أهله وأسرته بالتذكير بمواقع الخير والأمر به، كما قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ (طه: 132).

ومن دلائل حرصه ﷺ على الإجتهد في العشر الآواخر، اعتكافه فيها في المسجد متفرغا لعبادة الله تعالى، ذكرت عائشة: «أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الآواخر من رمضان حتى توفاه الله، ثم اعتكف أزواجه من بعده» (البخاري)

والإعتكاف هو: عزلة مؤقتة عن شواغل الحياة وإقبال بالكلية على الله تبارك وتعالى، والأنس بعبادته والإسلام لم يشرع الرهبانية، ولا التعبد بالعزلة الدائمة، ولكنه شرع هذه الفترات المؤقتة في أوقات معينة لترتوي القلوب الظامئة إلى المزيد من التعبد والتجرد لله رب العالمين.

وسر الإجتهد والمبالغة في العشر الآواخر يكمن في أمرين:

الأول: أن هذه العشر هي ختام الشهر المبارك، والأعمال بخواتيمها، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال:

«إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْخَوَاتِيمِ» (أخرجه ابن حبان في صحيحه 2-52)

الثاني: أن ليلة القدر المباركة المفضلة صحت الأحاديث الشريفة أنها تلتمس فيها.

فالبيب الكيس من اجتهد في هذه العشر، عسى أن يظفر فيها بهذه الليلة فيُغفر له ما تقدم من ذنبه، عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» (رواه البخاري في كتاب الصوم)

إخوة الإسلام:

لقد نَوَّه القرآن بفضل هذه الليلة العظيمة وأنزل الله فيها سورة كاملة، قال تعالى :
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ * تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِّنْ كُلِّ أَمْرٍ * سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (القدر)
لقد عظم الله جل جلاله شأن هذه الليلة فأضافها إلى القدر، أي: المقام والشرف، كما تقول فلان ذو قدر، أي ذو شرف، وأي مقام وشرف أكثر من أن تكون هذه الليلة خيرًا وأفضل من ألف شهر، أي الطاعة والعبادة فيها خير من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، وألف شهر تساوي ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر.
كذلك في هذه الليلة العظيمة يقدر ما يكون في تلك السنة، فيكتب فيها الأحياء والأموات والناجون والهالكون والسعداء والأشقياء والعزیز والذليل والجذب والقحط وكل ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى في تلك السنة.
قال تعالى : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (الدخان: 4)

قال العلامة ابن كثير في تفسيره أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف، وقوله: حكيم، أي: محكم لا يبدل ولا يغير.
وهي ليلة تنزل فيها الملائكة برحمة الله وسلامه وبركاته، ويرفرف فيها السلام حتى مطلع الفجر، وفي السنة جاءت أحاديث جمّة في فضل ليلة القدر، وإلتماسها في العشر الأواخر، عن عائشة قالت: كان رسول الله يجاور في العشر الأواخر من رمضان، ويقول: «تحروا ليلة القدر في العشر الأواخر من رمضان» (متفق عليه) ومعنى يجاور: أي يعتكف في المسجد.

وعن أبي سعيد أن النبي ﷺ خرج إليهم صبيحة عشرين فخطبهم، وقال:
«إني أريت ليلة القدر ثم أنسيتها - أو نسيتها - فالتمسوها في العشر الأواخر، في الوتر» (متفق عليه)
والمراد بالوتر في الحديث: الليالي الوترية، أي الفردية، مثل ليالي: 21، 23، 25، 27، 29.
وإذا كان دخول رمضان يختلف - كما نشاهد اليوم - من بلد لآخر، فالليالي الوترية في بعض الأقطار تكون زوجية في أقطار أخرى، فالإحتياط إلتماس ليلة القدر في جميع ليالي العشر.
ويتأكد إلتماسها وطلبها في الليالي السبع الأخيرة من رمضان، فعن ابن عمر أن رجالاً من أصحاب النبي ﷺ أروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر، فقال رسول الله ﷺ: «أرى رؤياكم قد تواطأت - أي توافقت - في السبع الأواخر، فمن كان متحريها، فليتحرها في السبع الأواخر» (متفق عليه).
وعن ابن عمر أيضًا: «إلتمسوها في العشر الأواخر، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يُغلبن على السبع البواقي» (رواه أحمد ومسلم والطيالسي)

والسبع الأواخر تبدأ من ليلة 23 إن كان الشهر 29 ومن ليلة 24 إن كان الشهر 30 يوما.
ورأي أبي بن كعب وابن عباس من الصحابة رضي الله عنهم أنها ليلة السابع والعشرين من رمضان، وكان أبي يحلف على ذلك لعلامات رآها، واشتهر ذلك لدى جمهور المسلمين، حتى غدا يحتفل بهذه الليلة احتفالاً رسمياً.
والصحيح أن لا يقين في ذلك، وقد تعددت الأقوال في تحديدها حتى بلغ بها الحافظ ابن حجر 46 قولاً.
ولله حكمة بالغة في إخفائها عنا، فلو تيقنا أي ليلة هي لترأخت العزائم طوال رمضان واكتفت بإحياء تلك الليلة، فكان إخفاؤها حافزاً للعمل في الشهر كله ومضاعفته في العشر الأواخر منه، وفي هذا خير كثير للفرد وللجماعة، وهذا كما أخفى الله تعالى عنا ساعة الإجابة في يوم الجمعة لندعوه في اليوم كله، وأخفى اسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب لندعوه بأسمائه الحسنی جميعاً.

وقد ورد لليلة القدر علامات مثل: أن تظهر الشمس صبيحتها لا شعاع لها، أو حمراء ضعيفة، وأنها ليلة طلقة بلجة، لا حارة ولا باردة، إلخ ما ذكرته الأحاديث النبوية الشريفة.

إخوة الإسلام:

إن ليلة القدر ليست ليلة خاصة لبعض الناس، تظهر له وحده بعلامة يراها، أو رؤيا في منام، أو كرامة خارقة للعادة، تقع له دون غيره، بل هي ليلة عامة لجميع من يطلبها ويتبعي خيرها وأجرها وما عند الله فيها، وهي ليلة عبادة وطاعة، وصلاة وتلاوة، وصدقة وصلة، وذكر ودعاء، وفعل للخيرات، عن عائشة قالت، قلت: يا رسول الله أرايت إن علمتُ أيَّ ليلةٍ القدرِ ما أقولُ فيها؟ قال: قولي: **«اللهم إنك عفوٌ تحبُّ العفو فاعفُ عني»** (أخرجه الترمذي) ويُحدِّر النبي ﷺ من الغفلة عن هذه الليلة وإهمال إحيائها، فيحرم المسلم من خيرها وثوابها، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخل رمضان، فقال رسول الله ﷺ: **«إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حرمها فقد حرم الخير كله، ولا يحرم خيرها إلا محروم»** (رواه ابن ماجه في السنن رقم 1644، وقال عنه الألباني حسن صحيح)

وأدنى ما ينبغي للمسلم أن يحرص عليه في تلك الليلة، أن يصلي العشاء في جماعة والصبح في جماعة، فهما بمثابة قيام الليل، عن عثمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل، ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله»** (رواه أحمد ومسلم واللفظ له).